حرف الكاف

لولا الذي

قال في وقعة كانت بينهم وبين طيّئ:

[البسيط]

يا عبلَ: إنْ كان ظِلُّ القَسطَلِ الحَلِكِ
أخْفى عليكِ قتالي يَوْمَ مُعتركي[١]
فَسَائلي فَرَسي: هلْ كنتُ أُطلقُهُ،
إلا عَلى مَوْكِبٍ كاللّيْلِ مُحْتَبِكِ[٢]؟
وَسَائلي السّيْفَ عَني: هل ضرَبتُ بهِ
يَوْمَ الكَرِيهَةِ إلا هامَةَ المَلِكِ[٣]

(١)، (٢) القسطل: غبار الحروب. يخاطب الشاعر عبلة التي شهدت الحرب وهي تفتش عن فارسها، وقد حجبت الغبار المتصاعدة التي احتبكت بلون السواد فغمّ عليها أن تتبيّنه من بين المتقاتلين، لذا يطلب منها أن تسأل فرسه، وهو صادق اللهجة، إنه لا يمتطيه إلا في القتال وقد استحال النهار ليلاً لتعالي الغبار وكثرة جولان الفرسان وسط المعمعة.

(٣) ويطلب منها أن تسأل عنه سيفه الذي به تمّ له فصل رأس الملك عن جسده، في يوم كريهة، على الأعداء دارت دوائره.

وَسَائِلِي الرّمْحَ عَنِي: هل طَعَنْتُ بِهِ
إلا المُدَرَّعَ بَينَ النّحْرِ وَالحَنَكِ[١]؟
أسْقِي الحُسَامَ وَأسْقِي الرّمحَ نَهلَتَهُ
وَأتْبَعُ القِرْنَ لا أخشى من الدَّرَكِ[٢]
كَمْ ضرْبةٍ لي بحَدّ السّيْفِ قاطِعَةٍ
وَطَعْنَةٍ شكّتِ القَرْبوس بالكَرِكِ[٣]
لَوْلا الذي تَرْهَبُ الأملاكُ قُدرَتَهُ
جَعَلْتُ مَتنَ جَوَادي قُبّةَ الفَلَكِ[٤]

---

(١) ويطلب منها أن تسأل الرمح الذي مزّق بطلاً شاكي السلاح، وقد تدرّع بدرع يحمي نفسه من غدرات الزمن، ولكن ذلك لم يمنعه، فإذا بالرمح يقع بين نحره وحنكه، وقد تخبّط يشخط دماً.

(٢) الشاعر كريم لا يبخل على سيفه ورمحه فهما ينهلان دماً من أعدائه؛ وهو يلاحق البطل الكفء، وقد امتلأ ثقة بأنه لا يُدرك شأوه أحد.

(٣) كثيراً ما وجه الشاعر سيفه البتّار، فإذا بحدّه يقطّ الخصم نصفين، وكثيراً ما طعن القِرن، فإذا بالرمح يخترق القربوس، وقد تسربل بالدم الأحمر فإذا به يجمع بضربة واحدة بين حنوي السرج، فيتألف القربوس كلّه.

(٤) يتضمّن البيت روحاً إسلامية، ممّا يجعل القصيدة منحولة. يُقرّ الشاعر بحدود الإنسان الطبيعية، فثمّة فاصل بين قدرات البشر المحدودة وبين حدود لا يملك البشر تخطيها؛ فالملائكة، وقدرتهم تفوق قدرة البشر لا يقدرون على تخطّي ما سمح به ربّ العالمين لهم، ولولا ذلك لدفع الشاعر بفرسه حتى يدرك قبّة السماء.